الباب العشرون

مجيء الباشا جودار

وهو فتى قصير أزرق [1] ، وذلك أن كرنفل وهو رجل من خُدام أمراء سغى . غضب عليه الأمير إسكيا إسحق بن داود بن الأمير إسكيا الحاج محمد فبعثه إلى تفاز برسم السجن هنالك ، وهو من بلادهم الذى فى مُلكهم وحُكمهم .

(فتنة كرنفل وهروبه لملاقاة الشريف الذهبى)

فكان من قدر الله وقضائه انطلاقه من هذا السجن ، وهرب إلى مدينة حمراء مراكش عند أميرها الشريف مولاى أحمد الذهبى . ولم يدركه فيها . قد غاب إلى مدينة فاس لتعذيب الشرفاء الذين كانوا فيها فأعمى أبصارهم ، ومات من ذلك كثير منهم (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) جعل ذلك نفاسه [2] على الدنيا والعياذ بالله .

فكتب ولد كرنفل كتاباً ، وبعثه له فأخبره بمجيئه إليه وبأخبار أهل سغى ، وبما كانوا عليه من الأحوال الذميمة والطبائع الرذيلة ، مع ضعف القوة وحثه على أخذ الأرض من أيديهم ، فكتب الكتاب إلى الأمير إسكيا إسحق بعدما بلغه كتاب ولد كرنفل وأخبره فيه بمجيئه إليهم ، وأنه غائب يومئذ إلى مدينة فاس ، وأنه يرى إنْ شاء الله كتابه فى طَى كتابه ، ومن جملة ما خاطبه فيه مولاى أحمد أنْ يسلم له فى خراج معدن تفاز ، وأنه أَوْلَى به منه لأنه الحاجز والمانع لهم من الكفرة النصرانيين إلى غير ذلك .

فبعث الكتاب مع مرسوله إلى مدينة كاغ ، وهو ما زال فى فاس بتاريخ شهر صفر سنة ثمانية وتسعين وتسعماية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وقفتُ على ذلك الكتاب بعينه ، ثم إنه رجع منه إلى مراكش فنزل الثلج فى الطريق كاد أنْ يموتَ منه وقطع أيدى كثير من قومه وأرجلهم وما وصلوا بلدهم إلا فى يأس الحال نسأل الله تعالى العافية من بلائه .

---

(١) أزرق : المقصود به أنه أشقر ، وأزرق العينين . وهو خصى أندلسى .

(٢) نفاسه : أى يتنافس على حب الدنيا .

(رد إسحاق على تهديدات أحمد الذهبى)

فلم يساعفه الأمير إسكيا إسحق بما طلب من التسليم فى ذلك المعدن ، بل قبح له الكلام فى الجواب ، وبعث له صحبة جوابه حرشانا ، ونعلين [١] من حديد ، فلما وصله ذلك عزم على صرف المحلة إليه بالغزو .

(حملة مراكش على سنغاى)

وفى القابل من شهر محرم الحرام فاتح عام التاسع والتسعين بعد تسعماية بعث المحلة الكبيرة إلى سغى لقتالهم فيها ثلاثة الألف رامياً ما بين أصحاب الخيل والرجل [٢] ومعهم من الأتباع ضعفها من كل صنف ، وأجناس من الصُّناع والأطباء وغيرهما ، جعل عليها الباشا جودار ، ومعه نحو عشرة من القياد ، القائد المصطفى التركى ، والقائد المصطفى بن عسكر ، والقائد أحمد الحروسى الأندلسى ، والقائد أحمد بن الحداد العمرى قائد المخازنية [٣] .

والقائد أحمد بن عطية ، والقائد عمار الفتى العلجى ، والقائد على بن المصطفى العلجى ، وهو أول قائد جعل على بلدة كاغ ، ومات مع الباشا محمود بن زرقون حين قُتِلَ فى الحجر ، ثم القائد بوشيبة العمرى ، والقائد بوغيت العمرى . والكاهيان الكاهية باحسن فرير العلجى على اليمين ، والكاهية قاسم وردوى الأندلسى على الشمال . هؤلاء هم الذين جاءوا مع جودار من القياد والكواهى .

فأخبرهم بخروج ذلك الأرض من مملكة السودان ، وبمقدار ما يملكه جيشه ذلك فيه على حسب ما وقف عليه فى الخيور ، فتوجهوا إلى أهل سغى ، فلما بلغهم خبر هذه المحلة جمع الأمير إسكيا إسحق قياده وكبراء مملكته فى المشاورة فى الرأى والتدبير .

فكلما أشاروا إليه من الرأى السديد يرمونه وراء ظهرهم لَمَا سبق فى سابق علم الله تعالى الذى لا رادَّ لقضائه ، ولا مُعقِّبَ لحكمه من زوال مُلكه ، وانقراض دولتهم .

---

(١) نعلين حديد : المقصود بهما القيد.

(٢) الرجل : سلاح المشاة .

(٣) المخازنية : موظفو القصر المغربى .

(انضمام الجالية المغربية للحملة على سنغاى)

ووجد الحال أن حم بن عبد الحق الدرعى ، كان فى كاغ حينئذ جاء لرسم السفر فأمر الشيخ أحمد تويرق الزيرى الأمير إسحق بقضبه وسجنه ، وهو عامل على تفاز لأهل سغى ، وزعم أنه ما جاء لكاغ إلا لأجل التجسس للأمير أحمد الذهبى ، فسجنه الأمير إسحق ، ورافع ، وأحمد نين ، والحروشى والد أحمد الأمجد حتى وصلوا البحر عند قرية كربر فنزلوا هنالك .

وعمل الباشا جودار سفرة كبيرة لإطعام الطعام فرحًا لوصولهم البحر سالمين ، لأن ذلك أمارة ظفرهم بمرادهم ونجاحهم لسعيهم من عند أميرهم ، وكان ذلك يوم الأربعاء الرابع من جُمادى الأول ، فى العام التاسع والتسعين بعد الهجرة . كما مرَّ.

وما طرقوا بلد أروان ، بل جازوا عليها على جهة المشرق ، ووافقوا بابل عبد الله ابن شين المحمودى ، فأخذ منهم جودار مقدار حاجتهم فركب وغرَّب إلى الأمير مولاى أحمد فى مراكش ، اشتكاء بما ناله منهم من الظلم .

وهو أول منْ أخبره بوصول تلك المحلة البحر . قال : أول من سأل عنه الكاهية باحسن فقال : لعل باحسن على خير . ثم سأل عن القائد أحمد بن الحداد والباشا جودار ، وكتب له أنْ يعطوه قيمة ما أخذوا من إبله ، ثم نهضوا من ذلك المكان فتوجَّهوا إلى بلد كاغ .

(معركة تندبى)

فتلقاهم الأمير إسكيا إسحق فى موضع يُقال له تنكنذبع فى قرب تندبى فى اثنى عشر ألفاً ، وخمسماية من الخيل ، وثلاثين ألفاً من أرباب الرجل ، ولم يلتئم عليه العسكر ، لأن أهل سغى ما صدقوا بخبرهم حتى نزلوا على البحر ، فاقتتلوا هنالك يوم الثلاثاء ، السابع عشر من الشهر المذكور فكسروا جيش إسكيا طرفة عين .

وممَّنْ مات من الأعيان من أهل الخيل [1] ساعتئذ : فندنك بوب مريام صاحب ماسنة المعزول ، وساع فرم على جاوند ، وبنك فرم عثمان درفن بن بكر كرن كرن بن الأمير إسكيا الحاج محمد بن أبى بكر . وهو كبير السنِّ جداً

---

(١) أهل الخيل : سلاح الفرسان .

يومئذ جعله الأمير إسكيا إسحق بنك فرم ، لمَّا مات بنك فرم محمد هيك فى غزوة نمنتك كما مرَّ .

ومات كثيرٌ من كُبراء أهل الرجل يومئذ لمَّا انكسر العسكر طرحوا دروقهم على الأرض ، وقعدوا عليها مُتربِّعين حتى وصلهم جيش جودار ، وقتلوهم صبرًا على تلك الحال ، لأن من شأنهم عدم الفرار عند الانكسار [1] وأخرجوا أسورة الذهب التى فى أيديهم .

فولَّى الأمير إسكيا إسحق وعسكره مدبرين منهزمين ، فبعث لأهل كاغ أنْ يخرجوا منه فرارًا إلى وراء البحر من جهة كرم ، وبعث بذلك أيضاً لأهل تنبكت فجاز على حاله . وما طرق كاغ إلى كرى كرم فنزل فيها بتلك العسكر فكان بكَّاءً ونوحاً (نواح) فيها وارتفعتْ الأصواتُ بذلك ارتفاعًا عظيماً ، وشرعوا فى الخروج واقتطاع البحر فى القوارب بالمشقة والازدحام ، فغرق كثيرٌ من الناس فى ذلك البحر وماتوا ، وضاع من الأموال ما لا يُحصيه إلا الله سبحانه .

وأما أهل تنبكت فلم يُمكن لهم الخروج والفرار إلى وراء البحر لأجل المشقة وثقل الحال ، ولم يخرج إلا تنبكت منذ يحى ولد بروم ، والذين معه فيها من خُدام إسكيا فنزلوا إلى الكف يند ، موضع بقُرْب بلد توى ، فجاز الباشا جُودار بتلك المحلة إلى كاغ ، ولم يبقَ فيها من سكانها إلا الخطيب محمود درامى ، وهو شيخ كبير يومئذ ، والطلبة ومنْ لم يقدر على الخروج والهروب من التجار . وتلقَّاهم الخطيب محمود المذكور بالترحيب والإكرام ، وأضافهم ضيافة فاخرة كبيرة ، وجرى بينه وبين الباشا جُودار كلام ، وحديث طويل ، وبالغ فى تعظيمه وإكرامه .

ثم إنه رام الدخول فى دار الأمير إسكيا إسحاق ، فأمر بإحضار الشهود فحضروا له ، ودخل معهم فيها ، فلما طالعها وعاينها ، وعلم ما فيها حقرها وبعث له الأمير إسحاق أنه يصالح معه على مايه (مائة) ألف ذهب وألف خديم يعطيها للأمير مولاى أحمد على يده ، ويرجع الجيش إلى مراكش ويُسلِّم له فى أرضه .

---

(١) الانكسار : الهزيمة .

فبعثَ له أنه عبدٌ مأمور لا تصرُّفَ له إلا بما أمر مولاه السلطان ، فكتب له بما أمر مولاه السلطان ، فكتب له بذلك هو والقائد أحمد بن الحداد مع اتفاق كافة تجار بلده، بعد ما أخبره فى كتابه أن دار شيخ الحمارة فى الغرب [١] خير من دار إسكيا التى طالعوها بعثة صحبة على العجمى ، وهو بشوظ يومئذ فرجع هو إلى تنبكت مع أولئك الجيش لينتظر الجواب ، ولم يتأخر فى كاغ إلا سبعة عشر يوماً . والله تعالى أعلم .

فوصلوا إلى مس بنك يوم الأربعاء آخر يوم من جمادى الثانية ، ثم ارتحلوا منها يوم الخميس أول يوم من رجب الفرد ، ونزلوا خارج بلد تنبكت من جهة القبلة ، وتأخروا هنالك خمسة وثلاثين يوماً ، فأرسل الفقيه القاضى أبو حفص عمر بن ولى الله تعالى الفقيه محمود يحم المؤذن يسلم له عليه . ولم يُضيِّفهم بشيء كما أضافهم الخطيب محمود درامى عند وصولهم مدينة كاغ ، فغضب من ذلك غضباً شديداً فنشر له أنواع الفواكه والتمر واللوز ، والسكر كثيراً . وألبسه دائرة ملف أحمر سكرلات . فلم يُحسن أرباب العقول الظنَّ بذلك ، فصار الأمرُ على ما ظنوا .

ثم إنهم دخلوا فى داخل المدينة يوم الخميس السادس من شعبان المنير ، وطافوا فى المدينة وطالعوها ووجدوا أكبرها عمارة حومة [٢] الغدامسيين فاختاروها للقصبة[٣]، وشرعوا فى بنائها ، وأخرجوا أناساً فى ديارهم من تلك الحومة . وأخرج الباشا جودار حم بن عبد الحق الدرعى من السجن ، وجعله أميناً بأمر السلطان مولاى أحمد . وأما رافع ، وأحمد نين بير فماتا قبل وصول جُودار لكاغ ، وجعل للمرسول بشوظ على العجمى فى الميعاد الذهاب والرجوع أربعين يوماً .

فوجدت هذه المحلة أرض السودان ، يومئذ من أعظم أرض الله تعالى نعمة ورفاهية ، وأمناً وعافية فى كلِّ جهة ومكان بركة ولاية الأسعد ، المبارك أمير المؤمنين إسكيا الحاج محمد بن أبى بكر ، من عدله وشدة حُكمه الشامل العام الذى ينفذ فى دار سلطنته .

---

(١) الغرب : المقصود به بلاد المغرب .

(٢) الحومة : حى أو منطقة سكنية .

(٣) القصبة : الحصن أو القلعة .

كذلك ينفذ فى أطراف مملكته من حدِّ أرض دند إلى حدِّ أرض الحمدية . ومن حدِّ أرض بنك إلى تفاز وتوات ، وما فى أحوازهن فتغيَّر الجميعُ حينئذ وصارت (صار) الأمنُ خوفاً ، والنعمة عذاباً وحسرةً ، والعافيةُ بلاء وشدة .

ودخل الناسُ يأكل بعضُهم بعضاً فى جميع الأمكنة طولاً وعرْضاً بالإغارة والحرابة [1] على الأموال والنفوس والرِّقاب ، فعمَّ ذلك الفساد وانتشر ، وبالغ واشتهر .

فأول منْ بدأ فيها سنب لمد صاحب دنك ، فأهلك كثيراً من بلاد رأس الماء وأكل الأموال على الإطلاق ، وقتل منْ قتل ، وكسب منْ كسب منَ الأحرار ، وكذلك الزغرانيون أتلفوا بلاد بر ، وبلاد درم كذلك . وأما أرض جنى فقد أتلفها كذلك بنبر شرقاً وغرباً ، يمينا وشمالاً ، إتلافاً قبيحاً شنيعاً ، وخربوا جميع البلادات ، ونهبوا جميع الأموال ، واتخذوا الحرائر جوارى ، وتناسلوا معهن فكانت الذرارى مجوسيين والعياذ بالله .

وكلُّ ذلك على يد شاع مكى ، وقاسم ولد بنك فرم على زليل بن عمر كمزاغ وهو ابن عم باغن فارى ، وبهم ولد فندنك بوب مربا الماسنى . ومن رؤساء أولئك الكفرة يومئذ الذين يسوقهم مع هؤلاء الفاسدين ، القطاعين منس سام فى أرض فدك ، وقاى فاب فى أرض كوكر ، هؤلاء فى جهة كل .

وأما فى جهة شيلى ، وجهة بندك فسلتى سنب الفلانى فى قبيلة وررب وسلتى يربر والد حمد سول الفلانى فى قبيلة جلوبى الكائنين فى ناحية فرمان ومنس مغ ولى والد كنغ كى ، إحدى عشر سلاطين بندك كما كانوا فى أرض كل ، كذلك ويتكون كند إلى غير ذلك .

وذلك الفساد يتجدد ، ويزداد إلى هلم جرا ، ومن حين تولى الأمير إسكيا الحاج محمد ملك أرض سغى ما قصدهم أحدٌ من أمراء الآفاق بالغزو إليهم من القوة ، والمتن ، والنجدة ، والشجاعة ، والمهابة التى خصَّهم الله تعالى بها ، بل هم الذين يقصدون الأمراء فى بلدانهم فينصره الله عليهم غير ما مرَّ كما مرَّ فى أخبارهم وقصصهم إلى قرب انقراض دولتهم ، وزوال مملكتهم بدَّلوا نعَم الله كُفراً .

---

(١) الحرابة : قطع الطريق .

وما تركوا شيئاً من معاصى الله تعالى إلا وارتكبوها جهراً من شُرْب الخمور ، ونكحة الذكور ، وأما الزنى فهو أكبر عملهم حتى رجع بينهم كأنه غيرُ محظور ، ولا لهم فخر وزينة إلا بها ، وحتى يفعلها بعض أولاد السلاطين بإخوانهم .

وقيل : إنه حدث مرة فى آخر مدة السلطان العدل أمير المؤمنين إسكيا الحاج محمد وولده يوسف كى هو الذى أبدعه ، فلما سمعه غضب غضباً شديداً ، ودعا عليه أنْ لا يصحبه ذكره إلى دار الآخرة . فأجاب اللهُ تعالى دعوته فيه فانقطع منه بعلَّة والعياذ بالله .

ثم إن الدعوة نالت ابنه أربند والد ينكى يعقوب ، فانقطع ذكره كذلك فى آخر عمره بتلك العلة ، ولهذا انتقم اللهُ سبحانه منهم بهذه المحلة المنصورة فرماهم بها من مسافة بعيدة ، ومكابدة شديدة ، فاجتُثّتْ عروقهم من أصلها ولحقوا بأصحاب العبرة وأهلها .

(موقف سلطان مراكش من عرض إسكيا للصلح)

ولنرجع إلى الكلام فى تمام ذلك الصلح ، فلما بلغ المرسولُ بشوظ على العجمى عند السلطان مولاى أحمد ، وهو أول من أتاه بخبر فتح أرض السودان . وقرأ ذلك الكتاب غضب غضباً شديداً . وعزل جُودار ساعتئذ ، وبعث محمود بن زرقون باشا بثمانين رامياً . كاتبهم مامى بن برون ، وشاوشهم على بن عيد وأمره بطرد إسحاق من أرض السودان .

وقتل القائد أحمد بن الحداد العمرى ، حيث اتفق مع جودار على ذلك الصلح ، وكتبه فى الكتاب معه إلى الجيش ، ثم إن الشريفات وعظماء أهل داره رغبوا فى القائد أحمد بن الحداد فعفا عن قتله وطلبوا منه أنْ يكتبه ، فكتبه أيضاً فبقى كتاب العفو إلى عند القائد أحمد بن الحداد ، فعمل السفرة وأحضر فيها الكواهى والشوظات ، وأخبرهم بما جرى فأعطى لكل واحد من الكواهى مائة مثقال ، وأعطى الباشوظات ما أعطاهم فعاهدوه جميعاً أنْ لا يصيبه مكروه ، حيث سبق كتاب العفو.

وفى العشية وصل كتاب القتل ، فحالوا بينه وبين الباشا محمود بن زرقون ، وأنقذوه منه بحكم الطريقة العادية . ووصل مدينة تنبكت يوم السادس والعشرين من شوال ، عام تسع وتسعين وتسعماية ، ومعه القائد عبد العالى ، والقائد حم بركة .

فعزل جودار ساعتئذ وتحوَّل الجيش معه وبالغ له فى الملامة والإنكار عليه ، حتى قال له : أىُّ شيء منعك من اللحوق إلى إسحاق فاعتلَّ له بعدم القوارب ، ولذلك شرع فى صناعة القوارب .

ولما لم يجد السبيل إلى قتل القائد أحمد بن الحداد عزله وجعل مكانه القائد أحمد بن عطية لأجل العداوة بينهما والقائد أحمد بن حبيب الباشا جودار ، فعل به الباشا محمود بن زرقون ما فعل مُغايظةً لجودار ، ثم إن محمود عزمَ على الحركة إلى إسحاق إسكيا ، فاشتغل بإصلاح القوارب .

لأن صاحب المرسى منذ ألفع ولد زرك هرب بجميع القوارب إلى ناحية بنك لما بعث إسحاق إسكيا لأهل تنبكت بالارتحال فقطعوا جميع الأشجار الكبار التى كانت فى داخل مدينة تنبكت ، ونجروا منها الألواح ، وغصبوا الدفوف الغلاظ الكبار الذين كانوا فى أبواب الديار ، وركبوا منها قاربين . وأنزلوا الأول فى البحر يوم الجمعة الثالث من ذى القعدة الحرام العام المذكور ، ثم أنزلوا الثانى فى البحر يوم الجمعة أيضاً سابع عشر من الشهر المذكور .

فبرز الباشا محمود مع الجيش كلها يوم الاثنين العشرين من الشهر المذكور ، ومعه الباشا جُودار المعزول ، وجميع القياد ما خلا القائد المصطفى التركى فخلفه محمود على تنبكت مع الأمين حم حق الدرعى ، ونزل خارج البلد من جهة القبلة وتأخر هنالك بقية الشهر .

ثم ارتحل منها يوم السبت الثانى من ذى الحجة الحرام المكمِّل للعام التاسع والتسعين وتسعماية ، ونزل فى مس بنك ثم ارتحل منها ، ونزل فى سيهنك ، فتأخر فيه حتى صلى عيد الأضحى . ثم صرف للقاضى أبى حفص عمر أنْ يبعث له منْ يصلى بهم العيد ، فبعث له الإمام سعيد بن الإمام محمد كداد ، فصلَّى بهم هنالك هذا العيد، فرتَّبه إماماً يصلى فى جامع القصبة ، إلى أنْ تُوفى رحمة الله عليه .

ثم توجَّه إلى إسكيا إسحاق للمقاتلة ، فسمع هو به وهو فى برن يومئذ فنهض للقائه ، والتقوا فى بنب يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، واقتتلوا يومئذ عند نبكة زرزن ، فهزمه الباشا محمود أيضاً فولَّى مُدبرًا ، مُنهزمًا .

وممَّنْ مات من عسكره يومئذ فار منذ ينب ولد سای ول ، وأمه من بنات الأمراء . وجعل خلفه سن ولد إسكيا داود فهذا آخر توليته ، فتوجَّه نحو أرض دند ، فنزل فى

كرى كرم . وقد أصاب الرصاص بلمع محمد كاغ بن إسكيا داود عند المطاردة فأمرضه ، وأمره إسحاق إسكيا بالرباط فى موضع . وأمر باركى ملك بمثله فى موضع آخر ، وأمره بالغارة على الفلانيين الكائنين ، فى أسع فغار عليهم .

ومع باركى ملك المذكور جماعة من إخوة إسحاق المذكور فى موضع الرباط قد عزلهم من مراتبهم فى غزوة تلفى لجبن ظهر فيهم يومئذ ، فكتب لباركى أنْ يقبضهم خوفاً من الهروب إلى الأعداء ففطنوا لذلك وهربوا لجهة كاغ منهم على تند ، ومحمود فرارا أجى وبرهم ، وسليمان وغيرهم من أولاد أمير إسكيا داود .

فتبعهم الباشا محمود بن زرقون مع جيشه ، حتى وصل كوكيا نزل هنالك ولَّما ولى إسحاق إسكيا ، راجعًا عند الهزيمة الثانية بعث مرسوله إلى مدينة تنبكت ، فوصل ليلة السبت أول ليلة من المحرم ، فاتح العام المُكمِّلة للألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . وأخبر بما جرى بينه وبين الباشا محمود ، وأدرك أن تنبكت منذ يحى ولد بروم أتى بمَنْ معه من أتباعه ، والزغرانيين أهل يرو لقتال القائد المصطفى التركى فوصلوا تنبكت يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة الحرام مُكمل عام تسعة وتسعين وتسعماية .

وقيل : إنه حلف بدخول القصبة ، من باب كبر ، والخروج من باب السوق وهو من أحمق الناس وأجهله ، فلما قرب تحت برج القصبة ضُربَ بالرصاص فمات عشية ذلك اليوم وقطع رأسه ، وطيفَ به فى خشبة فى المدينة ساعتئذ .

وينادى المنادى معه يا أهل تنبكت هذا رأس منذ متاع بلدكم ، ومَنْ لم يقعد عند روحه هكذا يُفعل به ، وجعل الرماة يُحمِّرون وجوههم بالشر ، ويُجرِّدون الناسَ بسيوفهم كلَّ ساعة ، فاستوقدتْ نارُ الفتنة .

ولنرجع إلى تمام الكلام فيما جرى بين الباشا محمود بن زرقون ، وبين أهل سغى فى تلك الجهة ، فلما نزل بلد كوكيا ومعه ماية وأربعة وسبعون قباوات فى كل قباء عشرون رامياً ، ونهاية جملتهم نحو أربعة آلاف رماة . وذلك جيش عظيم لا يقابله ولا يهزمه إلا مَنْ نصره اللهُ تعالى وأيَّده .

بعث الأمير إسكيا إسحق ألفًا ومايتين فرساناً من خيار عسكره الذين لا يُولون الأوبار ، وجعل عليهم هيكى له سركيا ، وهو قد بلغ الغايةَ والنهاية فى النجدة والشجاعة ، وأمرهم أن يقع عليهم إذا وجد فيهم غرَّة ، فبعد انفصالهم مع إسكيا قليلاً ، لحقهم بلمع محمد كاغ فى نحو مائة فارس . فسأله هيكى : مم هذا الالتحاق؟

فقال إسكيا : هو الذى اتبعنى إياك . فقال له : هذا كذب وبهتان لَمَا هو معروفٌ عند الخاصة والعامة أن بلمع لا يكون تابعًا لهيكى ، كلا وحاشا وما ذلك إلا عاداتكم القبيحة ، وطبيعتكم الشنيعة يا أولاد داود من الحرص على الإمْرة .

فتنحَّى عنهم هيكى له مع أناس من خاصته ، ثم دودكور ولد بلمع محمد دل كبرانكى خرج من بين أولئك الجماعة مُتحيِّزاً إلى نحو هيكى ، فقال له : يا دود تريد أنْ تقتلنى كما قتل أبوك هيكى موسى لإسكيا داود لا نقدر عليه ولا تقدر عليه لأننى خير من هيكى موسى شدة ، وأبوك خير منك ، فوالله إنْ دنوتَ منِّى لجررتُ مصارينك فى الأرض .

فكَرَّ راجعاً إلى تلك الجماعة ، فازداد الناسُ علماً لشدة هيكى ونجدته ، حيث أقرانه خبر من هيكى موسى فى النجدة ، لأنه من أشجع الناس فى زمنه ، فرجع له إلى إسكيا إسحاق وأخبره بما جرى .

(نهاية الإسكيا إسحق)

فعن قليل بايع أولئك الجماعة ، محمد كاغ ، وجعلوه إسكيا فتجهَّز إسحاق للذهاب إلى ناحية كب ، فلما عزم قبض كبراء الجند الذين اتبعوه جميع ما عنده من عدد السلطنة وآلاتها ، وشيَّعوه إلى موضع يُقال له تار ، فتفرَّقوا معه هنالك يستغفر منهم ويستغفرون منه ، فبكى هو ويكون فهذا آخر العهد بينهم .

ثم توجَّه إلى تنفنى عند كفار كرم بقدرة البارى تعالى الذى لا رادَّ لأمره ، ولا مُعقِّبَ لحكمه ، وقد قاتلهم العام الماضى ، وما تبعه أحدٌ من أهل سغى إلا ياى فرم بان أجى وقليل من خاصَّته فلم يستأخر عندهم إلا قليلاً فقتلوه وابنه وجميع مَنْ معه.

فماتوا شهداءَ رحمهم الله تعالى وعفا عنهم ومن أخلاقه الكرم والتصرف بالأموال الكثيرة ، وطلب الدعاء من العلماء والفقراء ، لأنْ لا يميته الله تعالى فى السلطنة ، فبلَّغه الله ذلك المأمول ، وكان موته الله أعلم فى جُمادى الآخر فى العام المُكمِّل للألف.